التَّضَرُّعُ وَاللُّجُوءُ إِلَى اللهِ

الْحَمْدُ للهِ الْكَرِيمِ الْجَوَاد، اللَّطِيفِ بِالْعِبَادِ، الْمُتَفَرِّدِ بِالْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ نَبِيٍّ وَهَادٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ، وَأَفْضَلِ الطَّاعَاتِ، وَأَعْلَى الْمَقَامَاتِ: عِبَادَةُ التَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ وَاللُّجُوءِ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ وَالْأَزَمَاتِ، وَقَدْ أَمَرَنَا رَبُّنَا بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ، وَوَعَدَنَا بِالْإِجَابَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر:٦٠]، وَقَالَ: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَـهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل:٦٢].

وَقَالَ: {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام:٤٣].

فَاللُّجُوءُ إِلَى اللهِ -أَيُّهَا الْإِخْوَةُ-، وَالتَّضَرُّعُ لَهُ، وَالِاعْتِصَامُ بِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ أَوْ نَازِلَةٍ تَنْزِلُ بِكُمْ فِي مَالٍ، أَوْ صِحَّةٍ، أَوْ وَلَدٍ، أَوْ كَارِثَةٍ، أَوْ مَصَائِبَ، أَوْ نَكَبَاتٍ؛ سَبَبٌ فِي سُرْعَةِ الْفَرَجِ وَتَفْرِيجِ الْكَرْبِ، وَسَبَبٌ فِي جَلْبِ الْمَصَالِحِ وَدَفْعِ الْمَفَاسِدِ؛ فَرَبُّنَا سَرِيعُ الْإِجَابَةِ، كَرِيمُ الْعَطَاءِ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا» وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

فَتَوَسَّلُوا إِلَى رَبِّكُمْ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا، وَاسْأَلُوهُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ، وَإِذَا دَعَوْتُمُوهُ فَأَيْقِنُوا بِالْإِجَابَةِ، وَاحْذَرُوا مَوَانِعَ الْإِجَابَةِ وَتَجَنَّبُوهَا، وَتَحَرَّوْا مَوَاطِنَ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ وَأَوْقَاتِهَا،

وَاحْسِنُوا الظنّ بِرَبِّكُمْ؛ فقد قالَ اللهَ –تعَالى- فِي الحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي..» الْحَدِيثُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَكَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

وَإِنِّي لَأَدْعُو اللهَ حَتَّى كَأَنَّمَا

أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللهُ صَانِعُ

أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْنَا عَافِيَتَنَا، وَصِحَّتَنَا، وَأَمْنَنَا، وَأَنْ يَدْفَعَ عَنَّا الْغَلَاء وَالرِّبَا وَالزِّنَا وَالزَّلَازِلَ وَالمِحَنَ، وَسُوءِ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ؛ عَنْ بَلَدِنَا هَذَا، وَعَنْ سَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِين، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.